يمن الإيمان والحكمة والمروءة

شعر/ للباحث والداعية الإسلامي أ. علي عبد القادر الشرفي الصعفاني

ما للمروءةِ تبكي يا لهُ شانُ
قالت شبابٌ أضاعوني وما صانوا
فرُحْتُ أَنشُدُ عن أهلِ «الشهامةِ» في
شتّى الأقاليمِ بَحثا حيثما كانوا
فقيل ليْ فُقِدتْ أَوْ أَنَّها دَرَسَتْ
ماتتْ وأَخلَفَها نُكْرٌ وكُفْرانُ
فقلتُ أينَ الوفا أينَ الرجولة هل
ذابا تلاشا وعمَّ القومَ خُذلانُ
وبينما أنا في «صنعا» كمَرْحلَةٍ
أُولى عنِ البحثِ في أمرٍ لهُ شأنُ
لَحَظْتُ حَشْداً غريباً تشمئزُّ لهُ
كلُّ النفوسِ فلا إنسٌ ولا جانُ
أغلبُهُم من خليطِ القومِ مَطْلبُهمْ
(إرحل).سألتُ؟ فقيلَ الحشدُ (إخوانُ)
يردِّدونَ هُتَافاتٍ تَنُمُّ على
حِقدٍ، ولا أدبٌ والْجُلُّ فتّانُ
وكم رُسومٍ وألفاظٍ مُقَزِّزَةٍ
تأبَى الرجولةُ أن ينهانَ سلطانُ
من لم يُوَقِّرْ كبيرَ القومِ مُعْتَقَداً
فليسَ منَّا وفي الإيمانِ نُقْصانُ
المدنيَّةُ بالغَوغاءِ مَنْ وأَدَتْ
أخلاقَهُمْ ففَشَى بَغْيٌ وعِصيانُ
هنا عرفتُ خباياهم وما قصدوا
وما أرادوا « فللجُدرانِ آذانُ»
سَمعْتُ ما لَم يُردْ حرٌّ وذو شرفٍ
سَماعَهُ إنّها الأحقادُ والرَّانُ
وللأنانيَةِ الْهَوْجاءِ مِعْوَلُها
في الهدمِ فالْتَذَّ بالفوضاءِ غِلمانُ
لَمَّا رأَوا دُولا فَرَّتْ جَماجِمُها
وَراغَ عنها صناديدٌ وأركانُ
من التظاهرِ من ذاك الْهُتافِ ومن
تلكَ الشعاراتِ حتّى هَبَّ شُبّانُ
فقلَّدوهم وقد كانتْ مَطالبُهمْ
مشروعةً ولهم حقٌّ وبرهانُ
لكنَّ غيَّرَ مَجْراها أولو أرَبٍ
وحاقدون وغوغاؤون صِبيانُ
يَجْرُونَ خلفَ سرابِ الواهمين ولا
يَدْرونَ أنَّ صَنيعَ القومِ خُسْرانُ
مرضَى النفوسِ بأحلامِ الضُّحى عَبَثاً
أغواهُمُ الحِقْدُ للشيطانِ أعوانُ

تسلَّقُوا أكتُفَ الشُّبانِ وانتَهَبُوا
ذاك الحماسَ وحَلَّ القومَ حرْمانُ
الْحِقدُ مَنْشَأُهُم والبغيُ مَبْدَؤهُم
والْجاهُ مَطْلَبُهُم والْمالُ عِنوانُ
أوِ الْحِرابَةُ، أو هم صَائلون فَقُلْ
ما شئتَ فيهم فَهُمْ زورٌ وبهتانُ
(الانفصالُ)على رأسِ البيانِ ومِنْ
خَلْفِ الكواليسِ(حوثيون) ألوانُ
والعلماءُ على عِلْمٍ ومَعْرِفَةٍ
بما يُحاكُ فهلاَّ كانَ تبيانُ
هذا مع الحزبِ والفتوى يُغَيِّرُها
حَسْبَ الظروفِ، وكم للشيخِ أقرانُ
تَقلُّبٌ ما شَهِدنا مثْلَهُ أبداً
وحَزَّ في القلبِ آلامٌ وأحزانُ
وآخرون غُثاءٌ ما لَهم هَدَفٌ
إلاَّ مع الجهلِ تَخريبٌ وعُدْوانُ
ليسوا سواءً فمنهم مَن على خُلُقٍ
عالٍ لهُ في صَدَى الأحداثِ مِيزانُ
لَهم نُضوجٌ وإدْراكٌ ومَطْلَبُهُمْ
بَتْرُ الفسادِ وما حادُوا وما مانوا
يُغَلِّبون على الفوضى الْحِوارَ إذا
ما كانَ جِدّا حَنَتْ للْحقّ أذقانُ
وذاك يَرسُمُ تكوينَ الخلافَةِ للإسلامِ
مسكينُ علَّ الشيخَ وسْنانُ
يكفيكمو(تُونُسا) أو(مِصرَ) ما هدَأَتْ
بيتٌ ولا خَمدَتْ للقومِ نيرانُ
وقبلَ ذلكمُ «البوسنةُ دَمَّرَها
حُلْمُ المشائخِ حتى انْجَرَّ«شيشانُ»
ودُرْكما شئتَ في التاريخِ كم عَصَفَتْ
تلك الأمانيُّ حتى انْهارَ «أفغانُ»
وليبيا (عُمَرُ الْمُختارُ) أنقذَها
غَرْبُ التَّحَرُّرِ لم ينضَرَّ إنسانُ
كما يُشاهَدُ في أمْنٍ وفي دَعَةٍ
كلُّ الرعايا بفضلِ الغربِ إخوانُ
الأرضُ مفروشَةٌ وِرداً وقُوَّتُهُمْ
مَخزونةٌ للعِدَى والشعبُ تَحنانُ
الشرقُ والغَرْبُ والأعرابُ قَبْلَهُمُ
يَحمُونَهمْ ولهمْ كلُّ الورى دانُوا
فهل نُجَرِّبُ ما قد جرَّبوا عبثاً
بغياً وتنهَدُّ أوتادٌ وأركانُ

وعودةٌ لبني الإيمان كيف جَرَى
مِن (خبطِ عشوا)كأنَّ الخطْبَ بركانُ
إذْ تاهَ فيهِ أولو الأحلامِ شاخِصَةً
أبْصارُهمْ كحَيارَى زالَ رُجْحانُ
فَبَيْنَ مَن (حَكَّ رأساً) ، أو(يَعَضُّ يداً)
نَدْمانَ مُضطربا والكلُّ حيرانُ
هناك مَن«قَلَبُوا ظَهْرَ الْمِجَنِّ»على
تلك الثوابتِ عن إخوانهمْ بانوا
وظلَّ فينا ذووا الأحلامِ مَنْ ثبتوا
في الْمُدْلَهمَّاتِ ما لانوا ولاخانوا
هُمُ الرجالُ أبَتْ فيهمْ عُرُوبَتُهُمْ
في نَخْوةٍ أنْ يُرى للغيِّ رُجحانُ
والحمدُ لله هُمْ كُثْرٌ وبينَهُمو
جيشُ الصمودِ صناديدٌ وفُرسانُ
وللدفاعِ تَحايا كلِّ ذي شَرفٍ
نِعْمَ الوفاءُ فهم والله شُجْعانُ
أمّا «جزاء سِنمّارٍ» فلا أحَدٌ
يرضى به فهو. إيْ والله. نُكْرانُ
تأبى الرجولةُ نُكرانَ الجميل ألاَ
أجْدى بأن يليَ العِرفانَ شُكرانُ
يا أيّها العلماءُ الخطباءُ ألاَ
شُدُّوا الْمَآزِرَ لا يَنْهارُ بنيانُ
لا لانقلاب على الدُّستورِ وا عَجَباً
إنْ خامَرَ الصَّحْبَ والأهلينَ خذلانُ
يا قائدَ الشعبِ يا مَن أنتَ مُنتَخَبٌ
شرعاً وعُرْفاً وقانونا وهُمْ مانُوا
بالدَّمِ والرّوحِ والأموالِ نَبْذُلُها
فِداكَ ضِدَّ الأعادي حيثُما كانوا
إن كسروا قلمي أوْ مزَّقوا ورَقي
أو اللسانَ فجنَّاتٌ ورضوانُ
أقولُها عن قناعاتٍ ومُعْتَقَدٍ
وكلُّ قولٍ لهُ وزنٌ وأثْمانُ
«ولِيدُ»إنْ قَطَعُوا منكَ اللسانَ فكم
مِنْ أَلْسُنٍ لكَ بالأشعارِ تَزدانُ
«لسانُكَ»الْحُرُّ باقٍ في كواهِلِنا
ولَن يَغيْبَ فكلُّ الشَّعبِ ملسانُ
أخلاقُنا أدَبٌ عاداتُنا قِيَمٌ أعرافُنا
أعرافُنا مُثُلٌ بِرٌّ وإحسانُ
لنا تقاليدُ لا نَرضى العُدولَ بها
شرقا وغربا فلا يَرضاهُ إنسانُ
لنا خصائصُنا الْمُثْلَى وحِكْمَتُنا
كما أتى نصُّهُ فقهٌ وإيمانُ